محبة الصحابة لسيدنا محمد

صلى الله عليه وآله وسلم

الإمام الشيخ
عبد الله سراج الدين

رحمه الله تعالى ورضي عنه

هذا البحث مقتبس من كتاب
(سيدنا محمد رسول الله ﷺ)

من الصفحة ٥٩١ حتى الصفحة ٦١٣

للشيخ الإمام
عبد الله سراج الدين الحسيني

بناء على توجيهات
وَلَدِهِ
المهندس الشيخ
محمد محيي الدين سراج الدين

رحمهما الله تعالى ورضي عنهما

ويمكنك تحميل هذه
الأبحاث القيمة
وتحميل جميع
كتب الشيخ الإمام
من موقعه الرسمي والوحيد
WWW.SRAJALDEN.COM

قسم مؤلفات الإمام
- المؤلفات المكتوبة
وقبسات من المؤلفات

مدير الموقع :
الشيخ عبد الله محمد محيي
الدين سراج الدين

محبة الصحابة للنبي ﷺ

قال الله تعالى :

﴿ قلْ : إنْ كان آباؤكم وأبناؤكم ، وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم ، وأموال اقترفتموها ، وتجارةٌ تخشوْن كسادها ، ومساكنُ ترضَوْنها ، أحبَّ اليكم من الله ورسوله ، وجهادٍ في سبيله ، فتربَّصُوا حتى يأتي الله بأمره ، والله لا يهدي القوم الفاسقين ﴾ .

فقد توعَّدَ الله عباده بالعقاب ، وحكم عليهم بالفسق ، فيما إذا كان

أحدُ هذه الأصنافِ المرغوبةِ المحبوبةِ ، أحبَّ إليهم من الله ورسوله ، وجهادٍ في سبيله ! بل الواجب عليهم أن يكون الله ورسوله أحبَّ إليهم من جميع ذلك كله !

وأعظمُ صورة واقعية لمن كان الله ورسوله أحبَّ إليهم مما سواهما ، وأجلى مظهر ظهرت فيه تلك الحقيقة الأحبِّيَّة لله تعالى ولرسوله : هم أصحابُ سيدنا محمد ﷺ كما قال أمير المؤمنين علي كرم الله تعالى وجهه ، وقد سئل : كيف كان حبكم لرسول الله ﷺ ؟

فقال : (كان رسول الله ﷺ أحبَّ إلينا من أموالنا وأولادنا ، وآبائنا وأمهاتنا ، وأحبَّ إلينا من الماء البارد على الظمأ) .

وتحققوا بقوله ﷺ : « لايؤمن أحدكم حتى أكونَ أحبَّ إليه من والده وولده ، والناس أجمعين » .

وبقوله ﷺ : « ثلاث من كنَّ فيه وجد بهنّ حلاوةَ الإيمان : أن يكون الله ورسولُه أحبَّ إليه مما سواهما . . » الحديث .

وقد بذلوا نفوسهم إيماناً به ﷺ وحبّاً فيه ، وقدَّموه على نفوسهم ؛ فهم كما أمر الله تعالى وشرع لهم بقوله : ﴿ ولا يرغبون بأنفسهم عن نفسه . . ﴾ الآية .

بل رغبتهم بنفسه هي المقدَّمة على رغبتهم بأنفسهم ، وحبُّهم لنفسه ﷺ أعظم من حبهم لأنفسهم ، كما دلت على ذلك الوقائع ، وشهدت لهم الشواهد

ونذكر من ذلك أطرافاً موجزة :

أولاً - إيثارهم محبةَ النبي ﷺ على محبتهم لأنفسهم ، وتقديمهم له على نفوسهم :

ومن ذلك :

قصة زيد بن الدَّثِنَّة ، كما رواه أصحاب (السير) ، ورواها البيهقي عن عروة قال :

(لما أخرج المشركون في مكة زيد بن الدثنة من الحرم ليقتلوه بالتنعيم - لأنهم كانوا لا يقتلون في الحرم تعظيماً له - وقد اجتمع في الطريق خُبَيب وزيد بن الدثنة ، فتواصيا بالصبر والثبات على ما يلحقهما من المكاره .

قال أبو سفيان بن حرب - وهو يومئذ مشرك - قال لزيد بن الدَّثِنة : أنشدك بالله - أي : أسألك بالله - يازيد : أتحبُّ أن محمداً الآن عندنا مكانك ، تُضرَبُ عنقه ، وأنك في أهلك - أي : آمناً من القتل - .

فقال له زيد : والله ما أحبُّ أن محمداً الآن في مكانه الذي هو فيه تصيبه شوكة ، وأني جالس في أهلي ! .

فقال أبو سفيان : مارأيت أحداً من الناس يحب أحداً كحبّ أصحاب محمدٍ محمداً !) .

فقد آثر زيد أن يقتل ، ولايصاب رسول الله ﷺ بأقلِّ شيء من الأذى .

قال الحافظ الزرقاني : وفي رواية : أنهم ناشدوا بذلك خُبيباً .

فقال : والله ماأحب أن يفديني رسول الله ﷺ بشوكة في قدمه ! .

ولا تنافي بين ذلك ، كأنهم قالوا ذلك لكل من خُبيب وزيد بن الدثنة .

وفي (المسند) عن أنس رضي الله عنه : (أن أبا طلحة كان يرمي بين يدي النبي ﷺ يوم أحد ، والنبي ﷺ خلفه يتترَّسُ به ، وكان رامياً ، وكان إذا رمى رفع ﷺ شخصه ينظر أين يقع سهمه ، ويرفع أبو طلحة صدرَه ويقول : هكذا بأمي أنت وأبي يارسول الله لايصيبك سهم ! نحري دون نحرك ! وكان أبو طلحة يسوّر نفسه ـ أي : يجعل نفسه سوراً ـ بين رسول الله ﷺ ويقول : إني جَلْد ـ أي : شديد ـ يارسول الله ، فوجِّهني في حوائجك ، ومُرْني بما شئت) .

ومن ذلك :

مارواه البيهقي وابن إسحاق ـ كما حكاه في (الشفا) وغيره ـ أن امرأة من الأنصار قد قتل أبوها وأخوها وزوجها ، شهداءَ يوم أحد مع رسول الله ﷺ .

فقالت لما أُخبرت بذلك : مافَعل رسول الله ﷺ ؟ وأرادت بذلك السؤال عن سلامته وبقائه ، وعبَّرت بذلك تأدباً ، لأن الفعل يستلزم الحياة . ـ وفي بعض النسخ : قالت : مافُعل برسول الله ﷺ ـ

قالوا : خيراً هو بحمد الله كما تحبّين .

أي : هو سالم منصور مظفّر .

فقالت : أرونيه حتى أنظر إليه .

فلما رأته ﷺ قالت : كل مصيبة بعدك ـ أي : بعد سلامتك ورؤيتك ـ جَلَل ـ أي : هينٌ حقير ، كما في (النهاية) .

ثانيا ـ شَغَفُهم به ﷺ وتعشُّقهُم إيَّاه ، فلا صبر لهم ، إذا لم يشهدوا محيَّاه ، فإذا شاهدوا رسول الله ﷺ قرّت أعينهم ، وطابت نفوسهم ، وانشرحت صدورهم .

روى الطبراني عن عائشة رضي الله عنها ، وابن مردويه عن ابن عباس رضي الله عنهما ، أن رجلاً ـ هو ثوبان أو عبد الله بن زيد صاحب قصة الأذان ـ أتى النبيَّ ﷺ فقال : يارسول الله لأنت ـ أي : والله لأنت ـ أحبُّ إليَّ من أهلي ومالي ، وإني لأذكرك فما أصبر حتى أجيء إليك ـ أي : فيطمئن قلبي وتقرَّ عيني ـ وإني ذكرت موتي وموتك فعرفتُ أنك إذا دخلت الجنة رُفعتَ مع النبيين ، وإنْ دخلتُها لاأراك ـ أي : لأنك في مقام لايصل إليه غيرك ـ .

فأنزل الله تعالى : ﴿ ومَن يُطعِ الله والرسولَ فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصِدِّيقين والشهداء والصالحين ، وحَسُن أولئك رفيقاً ﴾ فدعا به النبيُّ ﷺ ـ أي : طلب حضوره ـ فقرأ الآية عليه .

قال الحافظ الزرقاني : والمراد بالمعيّة والمرافقة : كونُه في الجنة يستمتع فيها برؤيتهم وزيارتهم ، والحضور معهم متى شاء ، وليس المراد التسوية في المنزلة . اهـ

وروى الإمام البغوي عن ثوبان مولى رسول الله ﷺ ـ أي : اشتراه رسول الله ﷺ وأعتقه ـ وكان شديد الحبّ لرسول الله ﷺ ، قليلَ الصبر

عنه ، فأتاه ذات يوم وقد تغيَّر لونه .

فقال له رسول الله ﷺ : « ماغيَّر لونك ؟ » .

فقال : يارسول الله ما بي مرض ولا وَجَع ، غير أني إذا لم أرَكَ استوحشتُ وحشةً شديدة حتى ألقاك ، ثم ذكرت الآخرة فأخاف أن لاأراك ، لأنك ترفع مع النبيين ، وإني إن دخلتُ الجنة فأنا في منزلة أدنى من منزلتك - أي : فتقل رؤيتي لك ولا أطيق ذلك - وإن لم أدخل الجنة لاأراك أبداً - فالأمر أهمُّ وأعظم - .

فنزلت : ﴿ ومَن يطع الله والرسول فاؤلئك مع الذين أنعم الله عليهم . . ﴾ الآية .

فكان أصحاب النبي ﷺ لاتطيب نفوسهم ولا تقر أعينهم إلا بمشاهدته ﷺ حباً فيه وإيماناً به ! .

وفي ذلك يقول أبو هريرة رضي الله عنه ، كما رواه عنه الإمام أحمد ، أنه قال :

قلت : يارسول الله إني إذا رأيتك طابت نفسي وقرَّت عيني - فأنبئني عن كل شيء ؟

فقال ﷺ : « كلُّ شيء خُلق من ماء » أي : ماء الحياة المذكور في الآية : ﴿ وكان عرشه على الماء ﴾ وهو الماء المشتمل على جميع عناصر الحياة - غير الماء المعروف ، فإنه أحد العناصر .

فقال أبو هريرة : قلت : يارسول الله أنبئني عن أمر إذا عملت به دخلت الجنة ؟

فقال : « أفشِ السلام ، وأطعم الطعام ، وصِلِ الأرحام ، وقم بالليل والناس نيام ، ثم ادخلِ الجنةَ بسلام » .

ثالثاً ـ رضاهم بمعيَّتهم لرسول الله ﷺ ومرافقتِه ، فإذا حصل ذلك لهم فسلامهم على الدنيا وما فيها من ذهبها وفضتها وسائر أموالها ! .

روى الشيخان عن أنس رضي الله عنه ، أن أناساً من الأنصار قالوا حين أفاء الله على رسوله من أموال هوازن ما أفاء ـ أي : أعطاه الله تعالى غنائم كثيرة ـ فطفِق رسول الله ﷺ وهو بالجِعْرانة ، يعطي رجالاً من قريش المائةَ من الإبل .

فقالوا : يغفر الله لرسوله الله ﷺ ! يعطي قريشاً ويَدَعُنا وسيوفنا تقطر من دمائهم ؟! أي : تقطر من دماء كفار قريش بمحاربتنا إياهم حتى يدخلوا في الإسلام .

فحُدِّث رسول الله ﷺ بمقالتهم ، فأرسل رسول الله ﷺ إلى الأنصار فجمعهم في قبة من أَدَم ـأي :جلد ـ ولم يَدْعُ معهم أحداً غيرهم .

فلما اجتمعوا جاءهم رسول الله ﷺ فقال : « ما حديثٌ بلغني عنكم ؟ » .

فقال فقهاؤهم ـ أي : علماؤهم وعقلاهم ـ أمّا ذَووا رأينا ـ أي : أصحاب العقول والفهم منا ـ يارسول الله فلم يقولوا شيئاً ، وأما ناس منا حديثةٌ أسنانهم قالوا : يغفر الله لرسول الله ﷺ يُعطي قريشاً ويدعُ الأنصار ، وسيوفُنا تقطر من دمائهم ؟ ! .

فقال رسول الله ﷺ : « إني أعطي رجالاً حديثي عهد بكفر

أتألّفهم ، أما ترضَوْن أن يذهب الناس بالأموال ، وترجعون إلى رحالكم - أي : منازلكم في المدينة - برسول الله ﷺ ؟ فوالله لما تنقلبون به - أي : ترجعون به - خير مما ينقلبون به » .

قالوا : يا رسول الله قد رضينا .

فقال لهم النبي ﷺ : « فستجدون أَثَرةً شديدة ، فاصبروا حتى تلقوا الله ورسوله ، فإني على الحوض » .

وفي رواية لهما أيضاً :

أن النبي ﷺ قال : « إن قريشاً حديثو عهدٍ بجاهلية ومصيبة ، وإني أردت أن أَجبرهم وأتألّفهم ، أما ترضون أن يرجع الناس بالدنيا ، وترجعون برسول الله ﷺ إلى بيوتكم ؟ » .

قالوا : بلى - أي : رضينا - .

فقال ﷺ : « لو سلك الناس وادياً ، وسلكتِ الأنصار شِعباً ، لسلكتُ واديَ الأنصار أو شعب الأنصار » .

وفي رواية (مسند) أحمد : أن النبي ﷺ قال : « يامعشر الأنصار أَلَم آتكم ضُلالاً فهداكم الله ؟ ! وعالةً فأغناكم الله ؟ ! وأعداءً فألف الله بين قلوبكم ؟ ! » .

قالوا : بلى يارسول الله .

ثم قال رسول الله ﷺ : « ألا تجيبون يامعشر الأنصار ؟ » .

قالوا : وما نقول يارسول الله وبماذا نجيبك ؟ المَنُّ لله ولرسوله ! .

قال : « والله لو شئتم لقلتم فصَدقتم وصدَّقتُكم :

جئتَنا طريداً فآويناك ، وعائلاً فأغنيناك ، وخائفاً فآمنّاك » .

فقالوا : الحق لله ولرسوله .

فقال رسول الله ﷺ : « أوَجدتم في نفوسكم يامعشر الأنصار في لُعاعة[1] من الدنيا تألّفت بها قوماً أسلموا ، ووكلتكم إلى ما قسم الله لكم من الإسلام ؟ .

أفلا ترضون يامعشر الأنصار أن يذهب الناس إلى رحالهم بالشاء والبعير ، وتذهبون برسول الله إلى رحالكم ؟ ! .

فو الذي نفسي بيده لو أن الناس سلكوا شِعباً ، وسلكتِ الأنصار شعباً ، لسلكتُ شعب الأنصار .

ولولا الهجرةُ لكنت امرءاً من الأنصار .

اللهم ارحم الأنصار ، وأبناء الأنصار وأبناء أبناء الأنصار » .

قال : فبكى القوم حتى أخْضلوا لحاهم ـ من الدموع ـ .

وقالوا : رضينا بالله رباً ، ورسوله قَسْماً ـ ثم انصرف وتفرَّقوا .

رابعاً ـ حرصهم الشديد على مرافقة النبي ﷺ في جميع العوالم ، واهتمامُهم بذلك في دعائهم أوقات الإجابة .

روى ابن جرير بإسناده عن الربيع ، أن أصحاب النبي ﷺ قالوا : قد علمنا أن النبي ﷺ له فضل على مَن آمن به في درجات الجنة ممن اتبعه فصدَّقه ، وكيف لهم إذا اجتمعوا في الجنة أن يرى بعضهم بعضاً ـ

---

(١) اللعاعة : بضم اللام ، معناها هنا الشيء اليسير .

أي : يروا رسولَ الله ﷺ - .

فأنزل الله تعالى هذه الآية : ﴿ ومَن يطعِ الله والرسولَ فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم . . ﴾ الآية .

وهذا السبب الوارد في نزول الآية لايتنافى مع ما تقدم من الأسباب ، فإن الآية الواحدة قد تنزل في عدة أسباب ، على أن هذه الأسباب كلها من باب واحد ، وهو سؤال الصحابة عامة وخاصة ، عمَّا يجمعهم برسول الله ﷺ في عوالم الآخرة ، بحيث يكونون معه لا ينقطعون عنه أبداً

ومن ذلك :

ما رواه مسلم عن ربيعة بن كعب الأسلمي رضي الله عنه ، أنه قال :

كنتُ أبيتُ عند رسول الله ﷺ فأتيتُه بوَضوئه وحاجته .

فقال لي : «سَل» .

فقلت : يارسول الله أسألك مرافقتَك في الجنة .

فقال ﷺ : « أوْ غير ذلك » .

قلت : هو ذاك .

قال ﷺ : « فأعني على نفسك بكثرة السجود » .

ومن ذلك : ما رواه ابن أبي شيبة عن أبي عبيدة قال : سئل عبد الله بن مسعود رضي الله عنه : ما الدعاءُ الذي دعوتَ به ليلةَ قال لك رسول الله ﷺ : « سَلْ تُعْطَه ؟ » .

قال ابن مسعود : قلت : (**اللهم إني أسألك إيماناً لايرتدُّ ، ونعيماً لاينفد ، ومرافقة نبيِّك ﷺ في أعلى درجة الجنةِ جنةِ الخلد**) .

وروى أبو نعيم عن أبي عبيدة عن أبيه عبد الله بن مسعود قال :

(بينما أنا أصلي ذاتَ ليلةٍ ، إذْ مَرَّ بي النبي ﷺ وأبو بكر وعمر رضي الله عنهما .

فقال النبي ﷺ : « سَلْ تعطه » .

قال عمر : ثم انطلقت إليه ـ إلى ابن مسعود ـ فسألته : ما دعوتَ به ؟

فقال : إن لي دعاءً ما أكاد أن أدعه ـ أي : لاأكاد أتركه ـ .

اللهم إني أسألك إيماناً لايبيد ، ونعيماً لاينفد ، وقرة عين لاتنقطع ، ومرافقة نبيك محمد ﷺ في أعلى الجنة جنة الخلد) .

ولما احتُضر بلال رضي الله عنه نادت امرأته : (واحزناه ! .

فقال لها : واطرباه ! غداً ألقى الأحبهْ : محمداً وصحبه) .

خامساً ـ بكاء الصحابة رضي الله عنهم لألم فراقه ﷺ ، وبكاؤهم لتذكُر مجالسه ، وبكاؤهم عند ذكره ﷺ وتذكُّرِه والوحيُ ينزل عليه ، وما ينعكس عليهم من أسراره وأنواره ، وبكاؤهم لتذكر عهودهم معه ﷺ ، وبكاؤهم الشديد لوفاته ﷺ ، وبكاؤهم عند قبره الشريف ﷺ ـ وذلك كله دليل على شدة محبتهم للنبي ﷺ وشغفهم به .

ونحن نذكر من ذلك أطرافاً موجزة :

أ ـ بكاؤهم لألم مفارقته ﷺ :

فمن ذلك ما جاء عن معاذ بن جبل رضي الله عنه ، لما بعثه رسول الله ﷺ إلى اليمن ، خرج يوصيه ومعاذ راكب ورسول الله ﷺ يمشي في ظل راحلته ، فلما فرغ من وصيته قال : « يامعاذ إنك عسى أن لاتلقاني بعد عامي هذا ، ولعلك أن تمر بمسجدي هذا وقبري » .

فبكى معاذ جَشَعاً ـ أي : جزعاً ـ لفراق رسول الله ﷺ .

ثم التفت ﷺ فأقبل بوجهه نحو المدينة فقال : « إن أوْلى الناس بي المتقون ، مَن كانوا وحيث كانوا » .

قال الزرقاني : رواه أحمد وأبو يعلى برجال ثقات .

وقال الهيثمي : رواه أحمد بإسنادين ، ورجال الإسنادين رجال الصحيح ، غير راشد بن سعد وعاصم بن حميد ، وهما ثقتان . اهـ .

ب ـ بكاؤهم لتذكرهم مجالسه ﷺ :

روى البخاري عن أنس رضي الله عنه قال : (مرَّ أبو بكر والعباس بمجلسٍ من مجالس الأنصار ، وهم يبكون ـ أي : وذلك في حال مرضه ﷺ ـ .

فقال ـ أحدهما ـ : ما يبكيكم ؟

فقالوا : ذكرنا مجلس النبي ﷺ منا .

فدخل أحدهما على النبي ﷺ فأخبره بذلك .

فخرج النبي ﷺ وقد عصب على رأسه حاشية بُرْد ، فصعِد المنبر - ولم يصعَدْه بعد ذلك اليوم .

فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : « أوصيكم بالأنصار ، فإنهم كَرِشي وعَيْبتي - أي : هم موضع سرِّي وهم بطانتي - وقد قضَوا الذي عليهم ، وبقي الذي لهم ، فاقبلوا من محسنهم ، وتجاوزوا عن مسيئهم ») .

جـ - بكاؤهم عند ذكره ﷺ وتذكره ﷺ والوحيُ ينزل عليه :

روى الإمام مسلم عن أنس رضي الله عنه قال :

(قال أبو بكر لعمر رضي الله عنهما بعد وفاة النبي ﷺ : انطلق بنا إلى أم أيمن رضي الله عنها نزورها ، كما كان رسول الله ﷺ يزورها .

فلما انتهيا إليها بكت .

فقالا لها : ما يُبكيك ؟ أما تعلمين أن ما عند الله خيرٌ لرسول الله ﷺ ؟ ! .

فقالت : إني لأعلم أن ما عند الله تعالى خير لرسول الله ﷺ ، ولكنْ أبكي أن الوحي قد انقطع من السماء ، فهيَّجَتْهُما على البكاء ، فجعلا يبكيان معها - أي : لتذكرهم رسول الله ﷺ ، ونزول الوحي عليه ، وتوارد تلك الأسرار والأنوار .

وأخرج ابن سعد عن عاصم بن محمد ، عن أبيه ، قال : ما سمعت ابن عمر ذكر رسول الله ﷺ إلا ابتدرت عيناه تبكيان .

وروى ابن سعد أيضاً عن أنس رضي الله عنه قال : ما من ليلة إلا وأنا أرى فيها حبيبي ﷺ - ثم يبكي .

ومن ذلك : ما رواه ابن عساكر بسند جيد - كما نص عليه الحافظ الزرقاني - عن بلال رضي الله عنه ، أنه لما نزل بدارَيّا - اسم مكان قريب من الشام - رأى النبيَّ ﷺ - أي : بعد وفاته ﷺ - وهو يقول : « ما هذه الجفوة يا بلال ؟ أما آن لك أن تزورني » ؟

فانتبه بلال حزيناً خائفاً ، فركب راحلته وقصد المدينة ، فأتى قبر النبي ﷺ فجعل يبكي ويمرغ وجهه عليه .

فأقبل الحسن والحسين رضي الله عنهما ، فجعل بلال يضمُّهما ويقبِّلهما .

فقالا له : نتمنى نسمعُ أذانك الذي تؤذن به لرسول الله ﷺ في المسجد .

فَعَلا سطح المسجد ووقف موقفه الذي كان يقف فيه ، فلما قال : الله أكبر الله أكبر : ارتجَّت المدينة .

فلما قال : أشهد أن لا إله إلا الله : ازدادتْ رجَّتها .

فلما قال : أشهد أن محمداً رسول الله : خرجَت العواتق - النساء - من خدورهنَّ وقالوا : أَبُعثَ رسول الله ﷺ !

فما رؤي يوم أكثر باكياً ولا باكية بالمدينة بعده ﷺ أكثر من ذلك اليوم .

وذلك لتذكرهم رسول الله ﷺ بسبب سماع الأذان من مؤذنه ﷺ .

وأخرج ابن عساكر عن زيد بن أسلم قال :

خرج عمر بن الخطاب ليلة يحرس ، فرأى مصباحاً في بيت ، فدنا ، فإذا عجوز تطرق شَعراً لها - أي : تنفشه - لتغزله وهي تقول :

علـى محمـد صـلاة الأبـرار
صلى عليك المصطفَوْن الأخيـار
قد كنتَ قوّامـاً بكى الأسحار
يـا ليت شعري والمنـايـا أطـوار
هل تجمعني وحبيبي الدار

تعني : النبي ﷺ .

فجلس عمر يبكي ، فما زال يبكي حتى قرع الباب عليها .

فقالت : من هذا ؟

فقال : عمرُ بن الخطاب .

قالت.: ومالي ولعمر ؟ وما يأتي بعمر في هذه الساعة ؟

فقال : افتحي رحمكِ الله فلا بأس عليك .

ففتحت له فدخل .

فقال لها : ردِّدي عليَّ الكلماتِ التي قلت آنفاً ، فرددت عليه فلما بلغت آخرها قال : أسألك أن تُدخليني معكما - أي : في الدعاء - قالت :

وعمر فاغفر له يا غفار

فرضي ورجع ـ كما في (المواهب وشرحها) .

وعلى هذا جرى خيار التابعين وأتباعهم رضي الله عنهم .

قال مصعب بن عبد الله : كان الإمام مالك إذا ذكر النبي ﷺ يتغير لونه حتى يصعب على جلسائه .

فقيل له في ذلك ؟

فقال ـ مالك ـ : لو رأيتم ما رأيتُ لما أنكرتم عليَّ ما ترون !

لقد رأيت محمد بن المنذر ـ وهو سيد القرّاء ـ لانكاد نسأله عن حديث إلا يبكي حتى نرحمه !

ولقد كنت أرى السيد جعفراً الصادق بن السيد محمد الباقر كثير التبسم ، ولكن إذا ذكر عنده النبي ﷺ اصفرَّ لونه ، مهابةً وإجلالاً ! .

قال مالك : وما رأيت جعفراً الصادق يحدِّث عن رسول الله ﷺ إلّا على طهارة .

قال مالك : ولقد اختلفتُ زماناً ـ أي : ترددت إليه كثيراً ـ وما كنت أراه إلا على ثلاثِ خصال : إما مصلياً ، وإما صامتاً ـ أي : مستغرقاً بالتفكير في آيات الله تعالى ـ وإما يقرأ القرآن .

قال : وكان السيد جعفر من العبّاد الذين يخشون الله تعالى . اهـ .

وقال مالك : ولقد كنت آتي عامر بن عبد الله بن الزبير ، فإذا ذكر عنده النبي ﷺ بكى حتى لا يبقى في عينيه دموع . اهـ .

وكان الزهري من أهنأ الناس ـ أي : أشدهم هناءة وسهولة وليناً ـ

فإذا ذكر النبيّ ﷺ فكأنك ما عرفته ولا عرفك .

أي : من إجلاله ومهابته النبيَّ ﷺ .

وكان قتادة المفسر إذا سمع الحديث يُقرأ عنده ، أخذه العويل - أي : البكاء - والزويل - أي : القلق - والانزعاج من سلطان المحبة والمهابة .

كما ذكر ذلك كلَّه القاضي عياض في (الشفا) ونقله القسطلاني في (المواهب) .

وكان عبد الرحمن بن القاسم إذا ذكر النبي ﷺ يُنظر إلى لونه كأنه قد نَزَف منه الدم وقد جَفَّ لسانه في فمه .

د - بكاؤهم لتذكُّرهم عهودَهم معه ﷺ :

ومن ذلك ما جاء عن يحيى بن جعدة قال :

عاد خبَّاباً ناس من أصحاب رسول الله ﷺ فقالوا : أبشر يا أبا عبد الله تَرِد على محمد ﷺ الحوضَ !

فقال : كيف بهذا ؟ وأشار إلى أعلى البيت وأسفله - وفي البيت قليل من الأمتعة والوسائد - وقد قال رسول الله ﷺ : « إنما يكفي أحدَكم كزاد الراكب » .

يعني : أنه بكى خوفاً من أن يكون قد توسَّع في حطام الدنيا ومتاعها ، فوق زاد الراكب ، كما عهد إليهم رسول الله ﷺ .

قال الحافظ المنذري : رواه أبو يعلى والطبراني بإسناد جيد .

وعن عامر بن عبد الله أن سلمان الخير رضي الله عنه حين حضرته الوفاة عرفوا منه بعض الجزع .

فقالوا : ما يجزعك ـ أي : ما يخيفك ـ يا أبا عبد الله وقد كانت لك سابقة في الخير ؟ شهدتَ مع رسول الله ﷺ مغازي حسنة ، وفتوحاً عظاماً !

فقال : يُجزعني أن حبيبنا ﷺ حين فارقَنا عَهِد إلينا : « لِيَكْفِ المرءَ منكم كزاد الراكب » فهذا الذي أجزعني ـ جعلني في خوف ـ .

قال : فجمع مال سلمان فكان قيمته خمسة عشر درهماً .

رواه ابن حبان في (صحيحه) كما في (الترغيب) .

فخاف سلمان أن يكون خالفَ عهد حبيبه ﷺ بأن جمع من المال فوق زاد الراكب .

هـ ـ ضجيج بكاء الصحابة لوفاة سيدنا محمد رسول الله ﷺ :

قال في (المواهب وشرحها) : أخرج ابن منده وابن عساكر ـ واللفظ له ـ عن أبي ذؤيب الهذلي أنه قال :

بلغنا أن النبي ﷺ مريض ، فأوجس أهل الحيّ خيفة على النبي ﷺ وبتُّ بليلة طويلة ، حتى إذا كان قرب السحر نمت ، فهتف بي هاتف يقول :

خطبٌ أجلُّ أناخ بالإسلام
بين النخيل ومقعد الآطام

قُبِض النبي محمدٌ فقلوبنا
تذري الدموعَ عليه بالتَّجسام

قال : فانتبهت من نومي فزِعاً ، وعلمت أن النبي ﷺ قبض ، فقدمت المدينة ولأهلها ضجيجٌ بالبكاء كضجيج الحجيج أهلُّوا جميعاً بالإحرام .

فقلت : مَهْ - أي : ما السببُ في هذا البكاء ؟ -

فقالوا : قبض رسول الله ﷺ !

قال القسطلاني رحمه الله : وقد كانت وفاته ﷺ يوم الإثنين بلا خلاف ، وقتَ دخوله المدينة في هجرته ، حين اشتد الضَّحاء .

ودفن ﷺ يوم الثلاثاء ، وقيل : ليلة الأربعاء ، وقيل : يوم الأربعاء . اهـ .

وقال في (لطائف المعارف) : وكانت وفاته ﷺ في يوم الإثنين في شهر ربيع الأول بِلا خلاف .

واختلفوا في تعيين ذلك اليوم من الشهر ، فقيل : كانت وفاته ﷺ أول الشهر ، وقيل ثانيه ، وقيل ثاني عشره ، وقيل ثالثَ عشره ، وقيل خامسَ عشره ، والمشهور أنه كان ثاني عشر ربيع الأول . اهـ .

وقد روى ابن إسحاق وغيره أن وفاته ﷺ كانت ثاني عشر ربيع الأول - وعليه الجمهور .

وأخرج الواقدي عن أم سلمة رضي الله عنها قالت : بينا نحن

مجتمعون نبكي لوفاة رسول الله ﷺ لم ننمْ ، ورسول الله ﷺ في بيوتنا ، ونحن نتسلّى برؤيته على السرير ، إذ سمعنا صوت الكرازين ـ أي : صوت الفؤوس يُحفر بها ـ في السحر .

قالت أم سلمة : فصحنا وصاح أهل المدينة ، فارتجت المدينة صيحة واحدة وأذن بلال بالفجر ، فلما ذكر النبي ﷺ ـ بقوله : أشهد أن محمداً رسول الله ـ بكى بلال وانتحب ، فزادنا حزناً وعالج الناس الدخول ـ أي : الوصول إلى قبره ﷺ ـ فغلق دونهم ـ أي :منعوا من الهجوم إلى القبر الشريف وقت الدفن الشريف ـ

قالت : فيا لها من مصيبة ما أصبنا بعدها بمصيبة إلا هانت ، إذا ذكرنا مصيبتنا به ﷺ .

وجاء بعض هذا الحديث في (طبقات) ابن سعد .

ولا شك أن المصيبة بوفاته ﷺ هي أعظم المصائب .

وقد روى مالك في (الموطأ) أن النبي ﷺ قال : « لِيُعَزِّ المسلمين في مصائبهم المصيبةُ بي » .

وروى ابن ماجه عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال في مرضه الذي توفي فيه : « يا أيها الناس أيُّما أحدٍ من المؤمنين أصيب بمصيبة ، فليتَعزَّ بمصيبته بي ، عن المصيبة التي تصيبه بغيري ، فإن أحداً من أمتي لن يُصاب بمصيبة : بعد أشدَّ عليه من مصيبتي » أي : المصيبة بوفاته ﷺ .

وأخرج مالك عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه قال : (بكى الناس

على رسول الله ﷺ حين مات ، وقالوا : والله ودِدنا أنا متنا قبله ، ونخشى أن نفتن بعده) .

انظر ذلك في (البداية) .

وأخرج الطبراني عن عائشة رضي الله عنها قالت :

قالت صفية بنت عبد المطلب رضي الله عنها ، ترثي رسول الله ﷺ :

ألا يا رسولَ الله كنتَ رجاءنا
وكنت بنا برّاً ولم تكُ جافيا
وكنت رحيماً هادياً ومعلِّما
ليبكِ عليكَ اليوم من كان باكياً
لعَمريَ ما أبكي النبيَّ لموته
ولكن لهرْجٍ كان بعدك آتيا
كأن على قلبي لفقد محمدٍ
ومن حبّه من بعد ذاك المكاويا
أفاطمُ صلى الله ربُ محمدٍ
على جدَثٍ أمسى بيثرب ثاوياً
أرى حسناً أيتمْتَه وتركتَه
يبكي ويدعو جدَّه اليوم نائياً
فِدىً لرسول الله أمي وخالتي
وعمي وخالي ثم نفسي وماليا

صبرتَ وبلغتَ الرسالة صادقاً
ومتَّ قويَّ الدين أبلجَ صافيا
فلو أن ربَّ العرش أبقاك بيننا
سَعِدنا ، ولكنْ أمره كان ماضيا
عليك من الله السلام تحيةً
وأُدخلتَ جناتٍ من العدن راضياً

قال الحافظ الهيثمي : رواه الطبراني وإسناده حسن .اهـ وانظره في (المواهب وشرحها)

و ـ بكاء الصحابة عند قبر النبي ﷺ متذكرين مواعظه ووصاياه :

ومن ذلك : ما جاء عن زيد بن أسلم ، عن أبيه ، أن عمر رضي الله عنه خرج إلى المسجد ، فوجد معاذاً عند قبر النبي ﷺ يبكي .

فقال له عمر : ما يبكيك ؟

فقال معاذ : حديث سمعته من النبي ﷺ قال : « اليسير من الرياء شرك ، ومن عادى أولياء الله فقد بارز الله بالمحاربة .

إن الله يحب الأبرار الأتقياء الأخفياء ، الذين إن غابوا لم يُفتَقدوا ، وإن حضروا لم يُعرفوا ، قلوبهم مصابيح الهدى ، يخرجون من كل غبراءَ مظلمة » .

قال في (الترغيب) : رواه ابن ماجه والحاكم والبيهقي في (الزهد) ، وقال الحاكم صحيح ولا علة له . اهـ .

وروى البيهقي عن ابن أبي فُديك قال : سمعت بعض من أدركت من العلماء يقول : بلغنا أنه من وقف عند قبر النبي ﷺ فتلا هذه الآية : ﴿ إن الله وملائكته يصلون على النبي ﴾ إلى ﴿ تسليماً ﴾ ثم قال :

صلى الله عليك يا رسول الله سبعين مرةً ناداه ملك : صلى الله عليك يا فلان ، ولم تسقط له حاجة ـ أي : لا ترد حاجته ، ولا يخيب دعاؤه بوجاهة الحبيب ﷺ عند الله القريب المجيب .